مهرجان دولي في ورزازات بمشاركة 16 قطرا:

خمسة أيام برفقة الرحل الصحراويين جنوب المغرب

الرباط ـ «القدس العربي»

ـ من الطاهر الطويل:

اشتهرت مدينة ورزازات (الواقعة جنوب المغرب) بكونها تتوفر على استوديوهات طبيعية لتصوير الأفلام السينمائية العالمية. وقبل ثلاث سنوات، صارت شهرة هذا الإقليم مرتبطة أيضا بمهرجان دولي للرحل، بحكم شساعة مساحته الصحراوية، وما يتصل بها من مظاهر سوسيوثقافية وحضارية متميزة.

وحاليا، تستعد ورزازات والأقاليم المحيطة بها (زاكورة، محاميد الغزلان) لاحتضان الدورة الثالثة للمهرجان الدولي للرحل الذي سينظم من 22 إلى 26 آذار (مارس) تحت شعار «خيام متباعدة، قلوب متقاربة»، بمساهمة سكان المنطقة ومسؤوليها المحليين وكذا فرق شعبية وفنانين وشعراء من الجزائر والسعودية وكندا والصين والإمارات العربية المتحدة وإسبانيا وفرنسا والهند والنيجر والنرويج ومالي والمغرب وموريتانيا ومنغوليا واليابان والسنغال.

المهرجان بحث في مختلف مكونات ثقافة الرحل ونمط عيشهم في المأكل والملبس وعاداتهم ومظاهرهم الاحتفالية. كما أنه مناسبة للتعريف بتراث غني ومتنوع، حيث يمكن اكتشاف الإنسان البدوي في محيطه الطبيعي، من أجل مقاربة هذه الثقافة التي ما زلت تحتفظ بطابعها الشفوي رغم انتشارها على نطاق واسع.

يشتمل برنامج المهرجان على حفلات للموسيقى والرقص وندوات وموائد مستديرة، وتنظيم خيمة الشعر، وإحداث فضاء للقاء والتعارف بين الرحل، وإقامة سباق للجمال، وكذا ألعاب خاصة بالرحل، إضافة إلى معارض تجارية وأخرى للصناعة التقليدية. وعلى المستوى الاجتماعي، سيتم تنظيم زيارات طبية بالمجان، وتوزيع أدوات طبية للمعاقين والمرضى، وتخصيص جائزتين أولاهما للطبخ المحلي والثانية لأحسن راعي ماشية.

ويروم المهرجان تمرير رسالة الأمل والسلام والتقارب بين شعوب وثقافات القارات الخمس، وإيجاد فضاء للقاء الخاص بثقافة الرحل، وكذا العمل على إيجاد إطار مؤسسي في جنوب المغرب لتظاهرة دولية ذات سمات ثقافية واجتماعية واقتصادية. كما يسعى إلى إبراز قيمة تراث الرحل على مستوى العالم بأكمله، وخلق مجال للحوار بين الثقافات والحضارات والديانات، علاوة على تنمية سياحة منظمة من أجل المساهمة في تنمية ظروف عيش السكان، وأخيرا توفير نشاطات للتنمية المستدامة في منطقة زاكورة وخاصة في بوابة الصحراء: محاميد الغزلان.

ويعتبر المنظمون التظاهرة بمثابة دعوة للتعايش مع السكان في فضائهم بكل مكوناته البيئية والجغرافية والمعيشية. وبالتالي، فهذه التظاهرة تعد بمثابة تقديم لشخصية البدو كما هي، لا كما يتصورها الآخرون.

تتميز الدورة الثالثة للمهرجان بمشاركة الفرق التالية: إلبس أو كور (السنغال)، خيتانوس (إسبانيا)، لات ميلودي (النرويج)، أراجيستان (الهند)، كيوتو ميوزيك (اليابان)، إضافة إلى المجموعات المغربية: رشيدة طلال، خاليسكو، إيجود، بلعيد عكاف، الفرقة الفنية النسائية للموسيقى الأندلسية من تطوان. كما تستضيف الدورة العديد من الشعراء العرب: صلاح الحربي (السعودية)، محمد خضر الغامدي (السعودية)، هيلدة إسماعيل (بريطانيا)، صالح قديربوه (ليبيا)، علي الجلاي وحسين فخر (البحرين)، دي ولد أدبا (موريتانيا)، فايزة مصطفى (الجزائر)، ومن المغرب يحضر الشعراء والشاعرات: إلهام زويريق، رشيد منسوم، يونس الحيول، نبيل منصر، عزيزة احضيه عمر، عبد الرحيم الخصار، رشيد منيري، لين خطار، حمادي ولد حميدانا، منتصر دوما وغيرهم.

وتدور الندوات والموائد المستديرة حول المواضيع التالية: «التربية المتنقلة للماشية في السياق الوطني والدولي»، «مكونات ثقافة الرحل»، «الترحال: أية آفاق؟».

وفيما يلي برنامج التظاهرة:

ـ الأربعاء 22 آذار (مارس):
استقبال المشاركين في ورزازات.
افتتاح المهرجان في قصر المؤتمرات.
زيارة أروقة المعارض.
توزيع الجوائز على أحسن مربي ماشية.
ندوة حول «التربية المتنقلة للماشية في السياق الدولي والوطني».
تقديم فيلم حول الانتجاع وحياة البدو في السفح الجنوبي للأطلس الكبير.
سهرة موسيقية وثقافية.

ـ الخميس 23 مارس:
انطلاق قافلة أولى من ورزازات في اتجاه محاميد الغزلان، مع التوقف في المحطات التالية: أكدز، تاناسيخت، تينزولين، زاكورة، تامكروت.
استقبال المشاركين في محاميد الغزلان بواسطة قافلة جمال مصحوبة بالمشاعل.
زيارة المعارض.
أمسية شعرية صحبة فرقة موسيقية محلية.

ـ الجمعة 24 مارس:
انطلاق القافلة الكبرى على ظهر الجمال، لزيارة النخيل.
إعطاء الانطلاقة للأنشطة الاجتماعية.
بدء محترف الرسم.
القافلة الطبية لفائدة المعاقين.
مباراة حول الطبخ المحلي.
مباراة لأحسن مربي مواش من الرحل.
افتتاح فضاء الالتقاء والتعارف بين الرحل.
مائدة مستديرة حول «مكونات ثقافة الرحل»، «الترحال: أية آفاق؟».
أمسية موسيقية للرحل المغاربة والأفارقة.
ليلة الحكي في مخيم بالعراء، صحبة فرقة موسيقية محلية.

ـ السبت 25 مارس:
عودة قافلة الرحل إلى منطقة محاميد الغزلان.
زيارة المعارض.
مائدة مستديرة حول «الترحال: أية آفاق؟»
تنظيم مسابقة رياضية بين الرحل.
عرض للخيول الإسبانية.
الحفلة الموسيقية الكبرى بمشاركة الفرق الدولية.

مابعد العولمة العراقية: عراقي يبيع حصته من النفط

جاسم الرصيف*

■ بوصفه شخصية عراقية معروفة، ومؤتمنة، أعلن (الأستاذ دبش) حصّته من النفط والكبريت وبقية الثروات، الطبيعية وغير الطبيعية، للبيع في مزاد دولي يقام في ساحة (كهرمانة)، تيمنّا وتبركا بهذه السيدة التي جادت بها الأحلام مرّة والى الأبد، وهي (تقلي) اللصوص في جرار وتقدّمهم وجبة عشاء دسمة لملكها، ومازالت مصدرا لالهام الأدباء والحكواتيين المفاليس على طول وعرض حكاياتنا في ألف ليلة وليلة لم تنته بعد!!

وقد تناقلت وكالات الأنباء هذا الخبر (العاجل) على صدر وظهر وبطن وأطراف نشراتها، فسارعت الجهات المالية، دولية ومحلية، للملمة ما يتيسّر لديها من سيولة نقدية، لشراء حصة (دبش) العراقية! ورنت الهواتف، النقالة وغير النقالة، والأجهزة اللاسلكية المدنية والعسكرية، في بغداد والمحافظات، بمثلثاتها ومربّعاتها ودوائرها، بحثا عن المفاتيح العلنية والسرّية التي تفتح الأبواب الى عالم (دبش) الواعد بالثراء!

وانهمرت على البلد فرق استطلاع واستكشاف، من دول الجوار الحسن وغير الحسن والعالم، محمّلة بتخصّصاتها رفيعة المستوى لدراسة الجدوى الاقتصادية وتأثيراتها على العالم بعد هذا المستجد الذي وصف (بالخطير) على كلّ ناقة وقرادة وكلب وغراب وبعير! وقد ذهب بعض التحليلات الى تشبيه ماجرى بـ(تسونامي عراقية!!)

وفيما كان (دبش) يختال بين مجموعة من العاطلين الحسّاد، مدّعيا أن السعادة قادمة اليه في (المربّع الأخير) من عمره، يوم المزاد! وأنه لن يعود قط الى (المربّع الأوّل) الذي استهلكه محلّلو ومحرّمو السياسة والاقتصاد! أغارت عليه مجموعة (مجهولة) من المسلّحين وأخذته الى شيخها وأميرها ومولاها وعرضت عوراته كلّها خوفا من الالاعيب الخطيرة، فأمره هذا بعد البسملة والحوقلة والمعوّذات و قصار السور أن يعلن التوبة في يوم جمعة وبحضور حشد من الشهود البالغين خاتما طلبه بالتبرير:

أنت يا (دبش) فاسق . فاسد . بدلالة اعلانك عن أملاك ليست لك!

فاعترض (دبش) : ـ مولاي ! سيدي ! شيخي الجليل ! أنا عراقي من أمّ وأب عراقيين! و أجدادي من (آل خائب آل نكتة) عراقيون حتى (حمورابي) !! وهذه افادتي أفادكم الله بالعدل والصدق يوم القيامة!

فكاد شيخ المحققين يسقط عن بساط (الحق) ـ الذي افترشه تواضعاً لله وللمؤمنين ـ من شدّة الضحك على جنون المتهم، ثم قال له: ـ وهذا دليل آخر يثبت أنك فاسق ! مارق! وسارق ومحتال! ها أنت تعترف أنك وأجدادك مدينون ببدل ايجار سكن في هذا البلد من أيام حمورابي ولحدّ الآن! ألا تؤمن بالله ياولد ؟!

ـ نعم!

أجاب دبش مندهشا خائفا .

فقال شيخ الشريعة والأحكام البديعة: اذن أنت تعرف أن (الملك لله)!!وانتم يا (آل خائب) شغلتم هذا الملك (العراق) دون اذن خطي من ولي نعمتنا (بريمر) دام ظله، ولا من أيّة مرجعية طائفية أو قومية في العراق أقرّها كتابه المقدس! ولاتمتلكون أي تفويض من الله لشغل هذا الملك! ومن ثمّ عليك، بوصفك الوارث الوحيد لأجدادك ان تدفع بدلات ايجار مذ نقشت مسلّة (حمورابي) ولحد الآن! وأن تغادر هذا البلد فورا لأنك لاتحمل سمة دخول رسمية اليه! أو أن تخدمنا مدة خمسة ملايين عام لتفي بهذه الديون وتثبت أنك عراقي بعد ذلك!

ومازال (دبش) في خدمة مولاه تكفيرا عن ذنوبه وذنوب أجداده!

حرب الخرائط

بعد أن ورّثت العائلة (المالكة؟!) العراق ذا الخارطة الواحدة، مرغمة، أخطاءها وخطاياها لعوائل جديدة تناهبت ما طالته أياديها (الكريمة!) من الارث على جوع أكيد للتملّك ونهم غريب لاجترار (الضحية التي تقلّد جلادها)، اتسعت أحلام الوارثين ففرشوا أحلامهم على خرائط جديدة للموروث لتثبيت حدود الورثة، وهي دون حدود الله والوطن والشعب بكثير، فبدأت (حربا) غريبة عجيبة، تضحك أكثر مما تبكي، نرى على خطوطها الأمامية والخلفية ألوانا تشير الى أن السنة هنا، والشيعة هناك والأكراد على هذا، والتركمان على ذاك، وما بين هذه الأقوام ثمة بقع زينتها خطوط متوازية تشير الى (خلائط) من هؤلاء جميعاً، لا أحد راهن عليهم بعد (!؟)، تذكّر المرء بنكتة قديمة تقول: أن واحدة من (بنات الهوى)، تناست (الهوى)، بعد أن عثرت على (زوج محترم) فسألت بائعة ملابس عن أي الفساتين أفضل في يوم (عرسها)، فأجابت هذه عن (علم أكيد) :الأبيض للعذراء، والأحمر للمطلقة أو الأرملة أو (غير ذلك). عندها طلبت (بنت...) فستانا من نوع (غير ذلك) أبيض مخططا بالأحمر!

وعلى وفق ما رأيناه من خرائط (نوّرت) في وسائل الاعلام لأقاليم ومدن (خاصّة وعامّة)، لا نحتاج الى ذكاء كبير لفهم مايجري في كواليس (العوائل التي ورثتنا) والتي حرصت عل وضعنا في قماقم وحاويات (حسب الطلب)، فأشاعت، بعلمها المسبق وهذا خبث أكيد، أو بدون علمها وهذا جهل مرعب، نوعاً جديداً من (الحروب الآجلة) يمكن وضعه على خانة (حسب الظروف الدولية) قد يجرّ الى أن تقوم الأقضية والنواحي والقرى الى اعلان نفسها جمهوريات ديمقراطية حسب مقاسات (شيخ بعيو) و (سيد نونو) و (حجي زبالة) و(مام نشاف) و (الدكتور لقّاف)، وكل ذلك حقّ يقع تحت (حق الشعب في تقرير المصير ؟!)، ولايمكن لأحد ان يعترض على (حق !؟)، وهذا ما يدفعني الى تشجيع قريتي على اقامة جمهوريتهم ـ قبل فوات الأوان ـ للسيطرة على نهري دجلة والفرات وقبل أن تحصل (حروب الماء) لأننا فرغنا من الكهرباء وأضعنا الوجه الحسن، ولابرام اكبر صفقة فلفل حار في التأريخ لحشوها في أفواه العواذل، ولانشاء اكبر معمل (للدعبل) و (والفرّارات) المعدّة للتصدير الى (جهّال) الجيران، وعدم الالتفات الى نصائح (المركز) الفاقد لمركزيته ومركزه اذ مازال ساكنوه يتبادلون الشتائم المهذبة، بعد أن نفوا بعضهم، في ذات العمارة

حرب الخرائط مدّت أجنحتها نحو المواقع الحسّاسة وغير الحسّاسة من جسد العراق، ولكن فات مهندسوها أن يضموا الى اقطاعياتهم العائلية مواقع الجاليات العراقية في لندن وباريس ونيويورك وواشنطن وميشغن، كما فاتهم وبكلّ تأكيد أنهم، في هذا الموضوع بالذات، لايمثلون غير أنفسهم وأن أحلام اليقظة قد طوّحت بهم بعيداً عن الشعب العراقي في سفرة خيالية تشبه تلك التي تنتاب محموماً أو مخموراً يذكرنا بالراعي العربي الذي قال قبل مئات السنين: (اذا سكرت فأنا ربّ الخورنق والسدير/ واذا صحوت فأنا ربّ الشويهة والبعير)، طبعا مع الأخذ بواقعية هذا الراعي في حالتيه وحمّى الذين أشعلوا هذه الحرب، بعد مساومات على شبر هنا وشبر هناك من أرض لايمتلكونها! وها نحن نراهم كلا مع خريطته غارقا في قراءة خرائطه، ولكننا نعلم أن الخريطة والخرائط في أيادي هؤلاء بلا (طاء) !!

مشكلة حمار

وردتني قبل مدّة رسالة من صديق فيها، وبالدليل، الى أن عشيرتين عراقيتين قد خاضتا قتالا بالأسلحة الخفيفة ـ والحمد لله! ـ لأنهّما اختلفتا على ملكية حمار من نوع (حساوي)، غالي الثمن! ولم يتوقف هذا القتال، الذي أظهرت فيه القبيلتان شجاعة فائقة ـ حتى تدخل أصحاب (الحلّ والربّط) الذين توصلّوا بفضل الحكمة التي واتاهم الله بها مشكورا على نعمته البيّنة ـ الى اطلاق الحمار، حراً، كما ولدته أمّه، في البريّة ومراقبة الجهة التي يعود اليها فتكون هي صاحبته! ولكنّ الحمار كان (أذكى ؟!) ممّن (حلّه وربطه) اذ توجّه الى مضارب عشيرة أخرى، متهاديا على(غبائه ؟!) المفترض، فدخلت هذه العشيرة حالة الانذار الشديد حول (مربط حميرها) الذي تشرف بالزائر الكريم! وأصبحت عشائر الجوار الحسن تدور في دائرة الظنون والشكوك لتثبيت ملكية الحمار الضّال، المستمتع بعلف الضيافة السخي غير آبه بما يجري حوله!

وفي خبر ذي صلة، حدّدت مؤشرات الأسعار في المدن العراقية ارتفاعا كبيرا في أسعار هذا الحيوان، الذي لم يألف أهله لأسباب مازالت مجهولة، بعد شحّ نفط الوقود في الأسواق السوداء والبيضاء، ووصل سعر هذا النوع بالذات الى 500 دولار نقداً وعدا! طبعا بعد التأكّد من سلامة الأسنان والرأس والذيل وبقية الملحقات! ومن الأسباب الظاهرة لارتفاع سعر هذا الحيوان (السعيد بغبائه!)، أنه لايعتمد في شغله على نفط الجنوب ولا على نفط الشمال، كما أنه يعد من (السيّارات) ذات الدفع الرباعي، الناجحة في كل التضاريس شمال وجنوب خطوط العرض والطول المارّة بالعراق، ويمكنه مع قليل من التحويرات البسيطة ان يوجّه بالأقمار الصناعية و (الريموت كونترول) ـ كشخة يا فقراء! ـ وهو يتناول الأعلاف والأطعمة العراقية بأنواعها، ومنها (الهمبركر) و (البيزا) دون أن يصاب بعسر هضم، كما أثبت فائدة سياسية ـ دخلت أرقام (غينس) من العراق فقط ـ عندما وضعه أحد الأحزاب، التي تظاهرت مؤخرا في بغداد، في مقدمة التظاهرة حاملا لقب (خبير) !!)

ومن أخبار هذا الحمار العجيب الصفات أنه أستغلّ كحامل متفجرات (دون أن يدري!) فدخل التأريخ الديمقراطي العراقي المعاصر من أطرف أبوابه المبكية! ولكنّ صورته، التي تداولتها بعض وسائل الاعلام مؤخراً، وهو يخضع للتفتيش الألكتروني على يد شرطي دخلت تأريخ الشرطة دوليا! خاصّة وأن هؤلاء الشرطة فقدوا (بعض!) تجهيزاتهم في (بعض!) الدهاليز فظهرت على مفارز ـ مجهولة! معلومة! ـ تعتقل وتقتل معارضيها بزيّ (رسمي)، ممّا ساهم في رفع أسعار هذا الحيوان (المسالم ؟!) ورفع من شأنه من حيث التفتيش العادل الذي شمل الجميع حتى الحمير! مع أنّ عشيرة الحمار الأصلية اعترضت على هذا الاجحاف بحقّ (عضوها) الذي لايحمل من الأسلحة الدفاعية غير عفصاته المقترنة بحافر غير قاتل، وهذا ما حصل مع أكبر (الحكماء) رأسا عندما تلقىّ رفسة غير قاتلة ـ والحمد لله! ـ في مربط (الحمير الضالة) في (الغابة الخضراء) أثناء حوار أجراه مع الحمار (المشكلة) لمعرفة عائديته المختلف عليها لحدّ الآن!

وفي نبأ عاجل ورد تواً: هرب الحمار الى مضارب عشيرة أخرى طالبا حق اللجوء الحيواني!

ومازالت الأطراف الحكيمة، تبحث عن حلّ يرضي صاحبة الحمار حليمة، التي عادت الى (عادتها القديمة)، ولم تكشف عن (كود) العائدية!

نادي الخفّ العربي

لا تتجاوز ثقافة البعير حدود الصحراء والأحمال الثقيلة والواحات والسراب وعصا (حادي العيس) فلم تتخذه الأحزاب، المتحضّرة وغير المتحضّرة، رمزا لها، كما (تشرفت) الفأرة والحمار والأسد والفيل وغيره، ربّما لصحراويته وربّما لأن الأحزاب (الأجنبية) لم تشأ الاعتداء على (حقوق الملكية) في العالم العربي . والبعير في وعيه البهيمي لعصا (حادي العيس) عرف النفط قبل الشركات المعاصرة بدليل طرفة بن العبد الذي (تطرف!!) في مشاكساته حتى أفردته عشيرته (افراد البعيرالمعبّد!) ولكن لا البعير ولا طرفة امتلكا من نفط العرب غير القير الأسود الذي كان يمنح مجانا للمصابين بالجرب المهجّرين الى صحارينا التي ما زالت عامرة (بالجرب) السياسي في هذه المرّة!

وهي حكمة من الله أن يخلق حيوانين فقط بخفّ هما البعير (سفينة الصحراء)، الموجّهة سياسيّا بالستلايت في هذه الأيام، دون أن تتخلّى عن ثقافتها، والنعامة التي كانت ومازالت طائرا لا يطير فاقداً لغريزة الدفاع عن النفس يورّث جبنه معلّبا في بيض غير صالح للطعام، فاستثنته هو الآخر كل الأحزاب من (شرف) اتّخاذه رمزا لأيّ منها (والعتب!) على النعامة وليس على من استثناها!

والخفّ المشترك بين النعامة والبعير استعارته (حداة العيس) وطوّرته مع مرور الزمن فصار نعالا، صنّف الى (خفّ ضاحك) تتعاطاه العوامّ من الأغلبية الساحقة من عرب اليوم الذّين (أحبهم الله) فابتلاهم بلعنة الفقر الأبدية والنعالات الممزقة (الضاحكة) على مآس صنعوها لأنفسهم بأنفسهم من قبر النبي يونس (ع) في الموصل الى اليمن الذي لا أحد يستطيع الادّعاء (السعادة) فيه، ومن موريتانيا الى جزر الطنب في خليج ما عاد (للعرب)، على ساحة (من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميّت ايلام)، ولايشمل هذا أصحاب (الجزم) من عرب العولة الذين يمتلكون (الجمل بما حمل) ومعه (حادي العيس) ونعاله الضاحك! ولهذا يقول العراقيون (يتعب أبو كلاش ـ نعال ـ وياكل أبو جزمة) !!

اذن أعضاء نادي الخفّ هم: البعير والنعامة ومن جمع من صفاتهما (الحميدة!!) في شخصه من عرب اجمعوا على (عقيدة) الالتزام بدور الحمّال الجبان صاحب الخفّ الضاحك، الذي لا تستفزّ كرامته ان استبيحت على جزمة سيّده، ولا تستفزّ انسانيته عندما يئد الجلاد ذويه، والذي يأكل الشوك وهو محمّل بالذهب، و(المؤمن) بحقّ الحاكم بجلده وحليب أطفاله و عرضه من ذاك الخفّ الضاحك ببهيمية لا أعجب منها الاّ امتدادها على طول هذا الزمن الذي ما عرفت فيه (بلاد العرب أوطاني) المعنى الحقيقي للحرية والعدل والمساواة!

ومن عجائب (نادي الخف) أن منتسبيه من أباعر ونعامات، وما بينهما، مازالوا يظنّون انّهم أحرار وهم أتعس من عبيد، وتراهم (يحتجّون!!) ويتوعّدون (سايكس ـ بيكو) والامبريالية (بالويل والثبور وعظائم الأمور) فيما رؤوسهم مستسلمة لجزم (أصحاب السعادة والمعالي) من الذين ورثوا العرب مع نعالاتهم الضاحكة على مايجري!

* كاتب من العراق
arraseef@yahoo.com
arraseef.blogspot.com

تداعيات

حوار في مقهى الانشراح برام الله القديمة

تيسير مشارقة*

■ تعريف: هما اثنان لهما ثالث على غير العادة . الأول زياد خداش (قاص وكاتب مقال) صدر كتابه الأخير مؤخراً (مطلع 2005) بعنوان «خذيني إلى موتي» وهو كتاب يقطر بالنساء ويقترب فيه الكاتب من كتابة جديدة تدمج بين فن المقالة (القصة الصحفية) والقصة القصيرة. والثاني هو مهيب البرغوثي، شاعر متشرّد وبري، جامع كل قشور المدينة (رام الله) وصديق النفايات الصلبة والسائلة وحفيد الوديان المعتمة ونصير ظلمات البشرية الشريرة وفاتح بلاد الروح المعزولة كما يقول عنه خدّاش.

أما خدّاش فهو «سيد العازبين وشيخ الأحرار كما تصفه أمه الأمية، مديرة مؤسسة التعليم عن بعد» كما يصفه البرغوثي. الثالث وهو المنشغل دائما بالحلم وبأفلام الفيديو الثقافية، فهو صالح مشارقة (البدوي)، «الذي يشبه شجرة البلوط البرية التي خرجت قبل أوانها وأخذت صفة شجرة البرتقال» حسب البرغوثي.

«صالح مشارقة هو ذلك الصبي الشيخ صاحب المائة عام من التجارب الجيوغرافية وممارسة العلم الزلزالي في الغابات والجبال والأنهار الملوّثة بداء الغرور. صالح البدوي هو ذلك النهر المغطّى بقناع الصخرة الخجولة، ذلك الواقف باستمرار على أهبة الضحك أو البكاء، الجنون أو العقل، التفاهة والنضج، الموت أو الحياة» حسب وصف خدّاش له.

ليلة عيد الأضحى يوم 2005/1/20 لم يكن صالح مشارقة بصحبة المجنونين، فهو يضبط ايقاع جنون الاثنين (مهيب البرغوثي وزياد خدّاش). صالح «الكاتب المغمور المدفون تحت ركام هائل من مخلفات الصحف القديمة، هو ضابط ايقاع جوقة التخبط والضياع التي يمثلها خدّاش والبرغوثي».

يهذي مهيب البرغوثي «جدّتي سلحفاة، وجدّي ينبوع ماء، لهذا خرجت خليطاً من الألمنيوم وبقايا نساء». كانت رائحة فم البرغوثي عبقة بالتبغ (تمباك) وبقايا خمر رديئة عندما أطلق جملته تلك بانتظار عيد الأضحى المبارك في مقهى الانشراح، ذلك العيد الذي هبط مبكّراً بإرادة سعودية.

مهيب البرغوثي: أين أنت ذاهب هذه الليلة، سمعت أنك مدعو لحفلة شواء مع إعصار تسونامي؟! رأيت أمي هناك يا زياد (خدّاش).. رأيتها تنتحب، ولكن ما يزعجني أن جارتنا البدينة لم تكن وابنتها المزعجة هناك.

زياد خدّاش: أشعر هذه الليلة التي تسبق العيد بساعات أن كل قشور الحضارات تنهال على رأسي. ما العمل يا جامع قشور البرتقال من نفايات رام الله السمينة؟ (يتوجّه بالسؤال للبرغوثي).

مهيب البرغوثي: يا صديقي العالم منزعج قليلاً، بريتون ومالك الريماوي يعانون من الإمساك أيضاً.

زياد خداش : هل قلت مالك الريماوي، ذلك الذهن الذي يشبه نهد فتاة لم توجد بعد .إنه ذهن نهد يتنافس على انتخابات تجري في موزمبيق.

سكت المجنونان عن الهذيان المباح، فقد قدم إلى الطاولة شخص رابع هو الكاتب أحمد عبد الحق، الذي عقد يديه وبدأ يرمقهما بشغف . جلس المجنونان دقائق معدودة وانسحبا إلى مقهى آخر في شارع وسط المدينة، هو مقهى رام الله.

* كاتب من فلسطين

الظاهرة اللغوية: الأصل والتطور والمستقبل

أبوظبي ـ «القدس العربي»

ـ من جمال المجايدة :

أصدر مكتب شؤون الإعلام للشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء بدولة الامارات، دراسة بعنوان «الظاهرة اللغوية: الأصل والتطور والمستقبل» وهي تتناول ما وصل إليه البحث في هذه الظاهرة من حيث فرضيات النشأة، ومسارات التطور، ومعالم المستقبل، خاصة منها مسألة النزوع إلى الترميز بدل الكتابة الصوتية، وقضية الاندفاع نحو التوحد بدل التنوع. وفي سياق ذلك فصلت الظاهرة اللغوية في ذاتها، والآراء المتعلقة بمنشئها وأصلها، وتعداد اللغات وتصنيفاتها وتوزيعها في العالم، وعوامل حياتها وموتها.

وأشارت الدراسة إلى أن اللغة تميزت منذ نشأتها بالنزوع المستمر نحو التنوع تبعاً لتنوع المجتمعات بتعدد الأمكنة والأزمنة والفئات والأعراق، موضحةً أنه نتج عن ذلك تنامي الحدود اللسانية بين الجماعات، مما ظل مثار قلق لدى اللسانيين والفلاسفة، ودافعاً للبحث والتنقيب عن حلول توجهت منذ القرن التاسع عشر على الأقل وجهة البحث عن لغة موحدة يفترض أنها أصل لكافة اللغات. ثم توجهت من بعد عندما يئست من الوصول إلى اللغة الأمة المفترضة إلى خلق لغة مبتدعة ليس لديها دافع إيديولوجي يدفع أحداً للتعصب لها أو ضدها، عسى أن يقبل كل الناس لغة موحدة للبشرية بديلة عن لغاتهم التي لن يقبل أي منهم التخلي عنها للغة غيره.

ومع ثورات الاتصال والمعلومات الحديثة بدأت الحدود اللغوية العتيدة تتهاوى أمام لغات قليلة تمتلك ناصية الاتصال والمعلومات إلى هذا الحد أو ذاك، وتهدد عالم اللغات بعولمة لغوية تفرض شيئاً فشيئاً لغة واحدة، وفي أفضل التوقعات، لغات محدودة على العالم بأسره. ومضت مؤكدةً أن هذا التهديد من شأنه القضاء على تجارب الأمم وعاداتها ومعتقداتها وقيمها وتراثها الغني الذي تختزنه لغاتها أمانة يتركها السابق للاحق، وهو إخلال مطلق بالتوازن البيئي والاجتماعي والثقافي.

ونبهت إلى أن العالم يسير باتجاه تقليص الكم الهائل الموجود اليوم من اللغات إلى أقل من نسبة أربعة بالمئة منه وذلك في ظرف وجيز قد لا يصل إلى قرن واحد من الآن، لافتةً إلى أن الدلائل تشير إلى أن اللغات المتوقع بقاؤها لن تكون إلا من ضمن لغات الأمم القوية التي تشغل الجزء الشمالي من الكوكب الأرضي في أوروبا والشرق الأدنى والهند والصين، وخاصة منها اللغات العالمية وفي مقدمتها اللغة الإنكليزية، تليها الفرنسية، ثم اللغات الأربع الباقية وهي العربية والإسبانية والصينية والروسية بمنازل متقاربة، إضافة إلى ما يتراوح بين سبعين إلى مائتي لغة دونها في القوة كالبرتغالية والألمانية والإيطالية ثم اللغات الاسكندنافية وغيرها، وهي متفاوتة جداً فيما بينها في القوة.

وأكدت أن أي شعب يتوقف عن استعمال لغته في الأنشطة الحيوية ويستعيض عنها بلغة أخرى إنما يكون قد دق أول إسفين في نعشها، وعدّدت المراحل التي تمر بها عملية الطرد هذه مبينةً أن أولها مرحلة ازدواجية النخبة أو استعمال النخبة للغة غير لغة الأغلبية في الأنشطة الرسمية والإنتاجية والعلمية والإعلامية بحيث يكون من لا يتقنها غير مؤهل للمشاركة في الأنشطة الحيوية، حتى تكون مصدر امتياز النخبة عن العامة وبالتالي تكون مصدر حرمان الأغلبية.

وثانيتها مرحلة ازدواجية عامة أهل المدينة، وذلك عندما يتهافت أهل المدينة على لغة النخبة، حتى يكون لهم الحق في الحصول على نصيب مما تمتاز به النخبة وبالتالي يبقى الريف يمثل الفئة المحرومة لأنه لا نصيب له في سر الامتياز.

وثالثتها مرحلة تحول العامة من أهل الريف إلى اللغة الجديدة وانحسار الازدواجية في جماعات قليلة هنا وهناك. أما الأخيرة فهي مرحلة اختفاء اللغة الأصلية جملة.

واختتمت الدراسة مبرزةً أن موت اللغة يختلف عن موت الكائنات البيولوجية لكونها قابلة للانتشال من هذا الموت، وقابلة للانبعاث من جديد بالقرار السياسي المعزز بجهود العلماء وخبرات المختصين وبالوسائل المادية واللوجستية الضرورية.